Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 2, 2026, 8692

Deanship of Scientific Research

Conceptual Metaphor: a Pragmatic Argumentative Approach

Amira Ali Hassan Al-Mubihsi , ***Muhammad Mustafa Ali Hassanein*** *

Department of Arabic Language, College of Arts and Social Sciences, Sultan Qaboos University, Muscat, Sultanate of Oman.

Received: 9/8/2024
Revised: 29/8/2024
Accepted: 18/9/2024
Published online: 1/9/2025

* *Corresponding author:*
m.hassanein@squ.edu.om

Citation: Al-Mubihsi, A. A. H., & Hassanein, . M. M. A. (2025). Conceptual Metaphor: a Pragmatic Argumentative Approach. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *53*(2), 8692.
https://doi.org/10.35516/Hum.2025.8692

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study seeks to trace the pragmatic component of conceptual metaphor and its argumentative effect. It focuses on sources of experience and their impact in forming perceptions of the target domain (the abstract domain) through the conceptual structure of the source domain (the literal domain). It also sheds light on the structural and contextual factors that affect the argumentative energy of conceptual metaphor; to reveal its persuasive role and the sources it draws its argumentative strength from.

Methods: The study relies on pragmatic argumentative theory that investigates persuasion strategies in discourse, based on Toulmin's argumentative model. It relies on previous studies to benefit from them in studying the persuasive aspect of conceptual metaphor and its impact on argumentative repertoire.

Results: The argumentative-pragmatic component of the conceptual metaphor is manifested in two factors: an internal factor represented by the methaphor's structural composition, its conceptual structure, and their effect in enhancing the persuasive impact, and an external factor demonstrated by the harmony among various metaphors in the text. The conceptual metaphor has contextual factors that affect its production and contribute to determining its functions in order to persuade the recipient.

Conclusions: The different cultural values and opinions of societies are worthy of research due to their consistency with the adopted conceptual metaphorical structures, as argued by George Lakoff and Mark Johnson. Such research contributes to facilitating communication and developing perceptions that unveil cultural similiaries and differences among various communities.

Keywords: Pragramtic, argumentative, persuasion, conceptual metaphor, target domain, source domain, context.

الاستعارة التصورية: مقاربة حجاجية تداولية

أميرة بنت علي بن حسن المبيحسية، محمد مصطفى علي حسانين*

قسم اللُّغة العربية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان

ملخّص

الأهداف: يهدف البحث إلى تتبع المكوّن التداولي للاستعارة التصوّرية وأثرها الحجاجي؛ فقد ركزنا على مصادر التجربة وأثرها في بَنْينة تصوّرات المجال الهدف (المجرد) من خلال البنية التصورية للمجال المصدر (الحرفي). كما سلّطنا الضوء على العوامل التركيبية والسياقية المؤثرة في الطاقة الحجاجية للاستعارة التصورية؛ للكشف عن الدور الإقناعي لها والمواضع التي تستمد منها قوتها الحجاجية.

المنهجية: تعتمد الدراسة النظرية التداولية الحجاجية الباحثة في استراتيجيات الإقناع معتمدين على نموذج تولمين الحجاجي؛ حيث نستفيد من الدراسات الحجاجية السابقة للبناء على ما توصلت إليه من نتائج والإفادة منها في دراسة الإقناع في الاستعارة التصورية وعتادها الحجاجي. فما إن تتحدث عن الاستعارة فإنك تتحدث عن الإقناع وذلك لارتباطها بالتمثيل في مجال الحجاج.

النتائج: يظهر المكوّن التداولي الحجاجي للاستعارة في عاملين: داخلي يتمثل في البنية التركيبية للاستعارة التصورية، والبنية التصوّرية لها وأثرهما في تكثيف القوة الإقناعية. كما يدعم البناء الحجاجي للاستعارة بُعْد خارجي يكشفه الانسجام بين استعارات النص المختلفة بما يبثه فيه من طاقة إقناعية، ويظهر أن للاستعارة التصورية عوامل سياقية تؤثر في إنتاجها، وتسهم في تحديد الوظائف التي تستعمل من أجلها الاستعارة التصورية- كما حددها لايكوف وجونسون- بغية إقناع المتلقي بها.

الخلاصة: إن القيم والآراء الثقافية المختلفة للمجتمعات جديرة بالدراسة وذلك لاتساقها مع البنية الاستعارية التصورية المتداولة، وقد دافع عن هذه الفكرة لايكوف (George Lakof) وجونسون (Mark Johnson) في كتابيهما (الاستعارات التي نحيا بها) وما تبعه من دراسات ركزت على تحليل الاستعارات المتداولة يوميا؛ بما يسهم في تسهيل تواصل البشر وبناء تصوّرات تكشف الجوانب الثقافية المشتركة بين المجتمعات الإنسانية تارة والمختلفة تارة أخرى.

الكلمات الدالة: تداول، حِجَاج، إقناع، استعارة تصورية، مجال هدف، مجال مصدر، سياق.

مقدّمةٌ

تمثل الاستعارة التصورية نظرية مركزية في حقل اللسانيات المعرفية، ووسيلة مهمة من وسائل فهم طريقة التفكير عند البشر، فنحن عندما "نسأل كيف تعمل الاستعارة التصورية؟ فإننا نسأل كيف يعمل الفكر والشعور؟ أنها تعمل على إيجاد "أسس تفسيرية للأنسقة التصورية وللغة في الدراسات العامة للدماغ والذهن"(لايكوف وجونسون،1980\ 2018، 277). لذا تمدّ صلات مع علوم مختلفة للإفادة منها في تطوير مباحثها منها "علم النفس المعرفي، وعلم الأعصاب المعرفي، وعلم النفس التطوري"(لايكوف وجونسون،1980\ 2018، 277). بينما يعمل الحجاج على مقاربة الخطاب لا من جهة تأثيره العقلي في المتلقي، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي، والبحث عن الوسائل التي يوظفها الخطاب من أجل إقناع المتلقي بموضوعه، فتعرفه (روث أموسي) بأنه "الوسائل اللفظية التي يشكلها الكلام للتأثير في المخاطبين، سعيا إلى حملهم على الإذعان لدعوى ما، وتغيير أو دعم التمثلات والآراء التي ينسبها لهم، أو بكل بساطة، يوجه الطرق التي ينظرون بها، أو يثيرون سؤالا حول مشكل معطى" (الولي، 2015, 85).

لقد ركزت الاستعارة التصورية في نشأتها على البحث في المكون الدلالي، فاقتصر عملها على البحث في الفهم والإدراك، إلا أن بناء المعنى يستدعي معرفة غير مقتصرة على الفهم والإدراك؛ فلابد أن تتضافر عدّة عناصر غير لغوية لإدراك دلالة التعبير الاستعاري "فلا توجد طريقة أفضل لتحديد كنه اللغة إلا بمعرفة ما ليس لغة"(فاندولواز،2012, 247). ولقد تدارك كوفيتش ما أغفلته الاستعارة التصورية من دراسة السياق، ومكوّنها التداولي ومقاصده؛ فعمل على دراسة السياق، وأثره في انتاج استعارات جديدة أو اختيار استعارات قديمة تواضعية وفهمها(Kovecses, 2015).

إن النظر في الاستعارة التصورية نظرة تداولية منزلة في سياق الاستعمال يساعد على الكشف عن الوظائف الحجاجية فيها. حيث تساعد على حمل المخاطبين على تغيير سلوكهم، وتؤثر في نسق تفكيرهم، وقناعاتهم، وثقافتهم وفق ما يُطْلب منهم في الخطاب. وهذا ناشئ من عوامل متعددة في الاستعارة والسياق الذي وظّفت فيه. فالاستعارة حسب (بيرلمان) "لا يمكن فصلها عن وظيفتها الحجاجية"(الزماني,2024, 54). لذا، ندرك أن الاستعارة التصورية تتجاوز مرحلة الفهم والمَقْوَلة إلى مرحلة التأثير والإقناع؛ وهذا ناتج عن الطاقة الحجاجية فيها. إن دراسة المكون التداولي في الاستعارة التصورية يمثل قيمة إضافية لها، يساعد على الكشف عن مواطن التداول، ومواضع الإقناع فيها مما يضاف إلى قيمتها الدلالية؛ وذلك نتيجة التداخل بين الدلالة والتداول إذ " التفصيل في شرح المعنى والصياغة الدلالية للمكونات اللغوية يتعدى حدود الدلالة؛ لذا يرى الإدراكيون أنه لا حاجز بين الدلالة والتداولية؛ لمرونة المعنى وديناميكيته، واكتسب ذلك من ارتباطه بالمواقف الخارجية والظروف الحياتية اليومية، ولقدرته على تشكيل العالم الخارجي، مما يعني أن المعنى اللغوي يتكامل مع جوانب التجربة أو الخبرة الأخرى"(دلخوش,2014، 248). فأين تكمن الطاقة الحجاجية للاستعارة التصورية؟ وما مكوناتها؟

البنية التركيبية للاستعارة التصوّرية:

تعتمد الاستعارة التصورية في تشكيلها على مجالين، هما: المجال المصدر والمجال الهدف، حيث يتم إسقاط المجال المصدر على المجال الهدف. يُبنى هذان المجالان وفق تصورات تشكلت في الدماغ حيث يقول (لايكوف وجونسون): "إن ما نسميه تصوّرات بنيات عصبية تمكننا من أن نخصص مقولاتنا الذهنية ونفكّر فيها"(لايكوف وجونسون,1999\2016، 57). وتفسرّ النظرية العصبية للاستعارة عملية الاسقاط بأن " العصبونات التي تنقدح معا ترتبط كهربائيا ببعضها"(لايكوف وجونسون,1980\2018،265)، فَتُفَعّل مجالي المصدر والهدف بصورة مشتركة في أثناء ما يسميه جونسون "مرحلة الدمج"، وهنا ندرك أن الاستعارة ظاهرة عصبية تعمل على تشكيل نسوخ استعارية على شكل خرائط عصبية (لايكوف وجونسون،1980\ 2018).

إن البشر يتفاوتون في هذه القدرة التي يتمتع بها الدماغ في بناء التصوّرات من خلال التجربة اليومية حول المفاهيم المختلفة. إذ تمكنهم تلك القدرة من تشكيل بنى رمزية ترتبط بالتصوّرات المسبقة للمفاهيم المادية. إضافة إلى القدرة على الاسقاط المجازي من المجال المادي (المصدر) إلى المجال الجرد (الهدف)، المقيدة ببنية أخرى رابطة بين المفاهيم المادية، والمفاهيم المجردة. وهذا يفسّر قدرتنا على التفكير في المجالات المجردة مثل الكمية والغرض. كما تتيح لنا هذه القدرة الذهنية على تكوين المفاهيم المعقدة باستخدام مخططات الصورة المبَنْيَنَة في الدماغ وفق نظام معين(Lakoff, 1987). تسقط فيه الترسيمات (mappings) في الاستعارة التصورية من جهة المجال المصدر على ما يناسبها من ترسيمات (mappings) المجال الهدف؛ لذا لابد أن نفهم المجال المصدر الذي يشكل خلفية معرفية مسبقة على نحو مستقل عن الاستعارة (Lakoff, 1987). فيدركه الإنسان من خلال أجهزة الإدراك الحسي الجسدي، فالمجالات المحسوسة يمكن تجربتها عن طريق العمليات الحسية (Kovecses, 2015)، فتتشكل- بحكم الخبرة- صورة إدراكية للخصائص الملازمة لهذا المجال المحسوس يسقطها على المجال المجرد. ومن خلال التفاعل مع هذه الخبرة والتجربة نستطيع أن نضع حدا للخصائص التي تلازم المفاهيم الحرفية التي لا تتضح- كما يشير إلى ذلك (لايكوف وجونسون) - إلا من خلال تفاعلنا معها (لايكوف وجونسون،1980\ 2018). "فتصوّراتنا للأشياء، شأنها شأن تصوّراتنا للأحداث والأنشطة، تخصص باعتبارها جشطلتات متعددة الأبعاد تنبثق أبعادها بصورة طبيعية من تجربتنا في العالم" (لايكوف وجونسون,1980\150,2018). فالمفاهيم المجردة هي تلك الخاصة بالأشياء غير الملموسة في الواقع، أي تلك التي لا يمكن تجربتها من خلال الحواس. فلا نملك لها تجسدا واحدا أو أنموذجا لها(Kovecses, 2015) . فلا يدركه الإنسان بحواسه بقدر ما يدركه بعقله، مثل الأخلاق- الزمن- الحب- الحياة. فالأخلاق تصوّر مجرد يمارسه الإنسان في حياته اليومية، ويدرك أهميتها، ويعيش تفاصيلها، ويحرص عليها، إلا أن هذه المفاهيم المجردة "لا

تكتمل بدون استعارات" (لايكوف وجونسون,1980\2018،279). لذا، تتشكل الاستعارة التصوّرية من توليف بين المجال المصدر والمجال الهدف من أجل فهم الأخير، وبَنْيَنته والقبض عليه. إذن تصبح الاستعارة "أداة لتطوير المفاهيم، ووسيلة لخلق الواقع"(أحمد، 2010،238).

فمن أين تأتي القوة الحجاجية للاستعارة التصوّرية؟ وما تأثيرها على المتلقي؟

القوة الحجاجية للاستعارة التصورية:

تأخذ الاستعارة التصورية قوتها حجاجيا من موقعها في السلالم الحجاجية؛ فكل "قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم الموجود في الأعلى جميع الأقوال التي دونه. كل قول كان في السلم دليل على مدلول معين كان يعلوه مرتبة دليلا أقوى منه"(الزماني,2024 ,84). والاستعارة تأتي في أعلى السلم الحجاجي؛ باعتبارها دلائل أقوى من التعابير العادية. ومما يساعد على تشكيل قوة الاستعارة التصوّرية الحجاجية الآلية التي يتأسس عليها النسق التصوري الذي بُنَيْن استعاريا، فيشكل الخلفية المعرفية التي تمدنا بالقدرة على فهم التصوّرات المجردة. فالاستعارة بوصفها توليفا بين مجال محسوس- غالبا- ومجال مجرد، حيث نستعين بالمجال المحسوس المستمد من تجربة من تجاربنا المختلفة للقبض على المجال المجرد "فالاستعارة هي المبدأ الحاضر أبدا في اللغة، فنحن لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في أي حديث اعتيادي سلس دون اللجوء إلى الاستعارة. "وتعوّل حجاجية الصورة على نحو كبير على المتلقي، وبيئته، وعالمه، وثقافته "فالبحث في حجاجية الصورة يكمن في علاقتها بالمتلقي، وعلاقة المتلقي بها"(صولة,2001 ,481)، ومدى استيعاب المتلقي للصورة، وفهمه لأبعادها، واستنطاقه لدلالتها"(الولي، 2015 ,30). ولكن ما طبيعة التجارب التي يتشكل منها المجال المحسوس (المصدر)؟

نستطيع أن نحدد طبيعة التجارب التي يتشكل منها المجال المصدر من خلال ما توصل إليه كلا من (لايكوف وجونسون)، حيث صنفوا التجارب إلى تجارب ناتجة عن:

- تفاعلاتنا مع المحيط الفيزيائي: وهي تجربة يختبرها الإنسان مباشرة مع المحيط من حوله، فالتصورات الفضائية نابعة من تجربتنا الفضائية. "فنحن نملك أجسادا، ونقف منتصبين، وكل حركة نقوم بها تتطلب في الغالب، برنامجا حركيا قد يغير من اتجاهنا فوق- تحت..." (لايكوف وجونسون,1980\2018،89). "إن بنية تصوراتنا الفضائية تنبثق من تجربتنا الفضائية المستمرة... والتصوّرات التي تنبثق بهذه الكيفية تجعلنا نعيش بالطريقة الأكثر جوهرية" (لايكوف وجونسون,1980\2018،89). وتنبثق كذلك من عدّة تصوّرات حرفية مثل الصراع- الأكل- البناء، وغيرها. "فهذه التصوّرات التي تشير إلى أنواع طبيعية في التجربة وفي الأشياء مُبَنْيَنة وعلى نحو واضح، ولها بنية داخلية ملائمة تكفي في تحديد تصوّرات أخرى" (لايكوف وجونسون,1980\2018،147). ولما كانت التجربة الفيزيائية مُبَنْيَنة على نحو واضح في تجربة الإنسان؛ فإنها تبقى ملازمة له في تصوّراته فقد تفاعل معها وأدرك خصائصها وسلّم بها، فلا خلاف بين البشر أن كل بناء ينشئه يمرّ بمراحل مختلفة حتى يكتمل معماره.
- إن تفاعلنا مع الآخرين داخل مجتمعنا بمؤسساته المختلفة يؤثر في تشكيل أنساقنا التصوّرية سواء كانت تجربة اقتصادية أو دينية أو سياسية. إن القيمة الفاعلة لهذه المؤسسات في حياتنا تؤثر- ولا شك- في أنساقنا التصورية، فقد نسحب من القطاع الاقتصادي ما يعيننا على فهم (الزمن) عندما نؤلف بينه وبين المال، (فلابد أن نستثمر الوقت، ونحافظ عليه فلا نضيّعه وإلا سنخسره فلا يعود لنا بفائدة). وهنا، يظهر التفاعل بين المجال المصدر (المال)، والمجال الهدف (الزمن)، فيخضع لأحكامه الراسخة في تصوّراتنا التي أجمع أفراد المجتمع عليها، وتواضعوا على التسليم بها. وقد يظهر التفاعل مع التجربة السياسية مثل (الحرب) بأبعادها الطبيعية التي تكوّنت بنيتها في نسقنا التصوري، فنؤلف بينها وبين المفهوم المجرد (الجدال) فتتنزل ترسيمات المجال المصدر (الحرب) على ما يناسبها من ترسيمات المجال الهدف (الجدال) من حيث أبعادها ومراحلها والنتائج التي تترتب عليها وهي مراحل يتفق عليها أبناء المجتمع.

ويمكننا معاينة ذلك أيضا في سياق التفاعل الديني عندما يتبع أفراد المجتمع دينا ما ويمارسون شعائره، فإن هذه الممارسة تعمل على تشكيل أنساقهم التصوّرية؛ فيسقطونها على مفاهيم مجردة. فنجد توظيف (الماء) بين طهارة محسوسة للجسد، والطهارة المجردة للروح والقلب. إذن فالصورة هنا "أداة لتطوير المفاهيم، ووسيلة لخلق الواقع"(أحمد، 2010،283)، ويتضح لنا مما سبق أن "كل تجربة هي كليا ثقافية، وأننا نمارس تجربة عالمنا بطريقة تكون بها ثقافتنا حاضرة في هذه التجربة نفسها"(لايكوف وجونسون,1980\2018،90).

قد تجتمع في تشكل الاستعارة الخبرات المستمدة من التجربة الفيزيائية، إضافة إلى العناصر الثقافية الخاصة بالمجتمع الذي نشأت فيه الاستعارة وتشكلت بنيتها التصورية، فلا توجد أنساق تصوّرية صافية لها جانب جسدي لا يتوجه وفق ثقافة المجتمع، والمحيط الذي يعيش فيه، وثقافة ينتمي لها(Kovecses, 2015). وهنا نستطيع أن ندرك أن القوة الحجاجية في الاستعارة التصورية تأتي من تجذر التجربة البشرية في المجال المصدر، ورسوخ تصوّره في أذهاننا، وهي تجربة يتفق عليها أفراد المجتمع وفقا لثقافتهم. كما يساعد على منح المجال الهدف تأثير القوة الشعورية على تصوّره من خلال التوليف بينه وبين المجال المصدر في بنية تصورية واحدة "فأصبحت الاستعارة أداة للاقتراب من الواقع"(الولي، 2015 ,281). نجد أن التعبير الاستعاري (استثمار الوقت) يعمل على نسخ الترسيمات الخاصة بالمجال المصدر (المال)، بينما التعبير الاستعاري (هاجم أفكاره) يربط تصورات المجال المصدر (الحرب) بتصورات المجال الهدف (الجدال)، فعند إلقاء المتكلم التعبيرين الاستعاريين السابقين ندرك أن (المال، والحرب) يشكلان خلفية معرفية تمدّ (الوقت، والجدال) بخصائص معينة يبئرها السياق الذي تقع فيه.

ويترتب على عملية التوليف بين المجال المصدر والمجال الهدف نقل للتجربة الشعورية المسلّم بها والمتفق على واقعيتها وصدقها إلى المجال الهدف مما يشكل الشعور ذاته حول المجال الهدف، ويكون تأثيره في النفس كتأثير تجربة المجال المصدر؛ مما يخلق تشابها في ردة فعل المتلقي حول المجال الهدف بما جربه في المجال المصدر، فنجده يتحرك شعوريا وفق ما استقر في نفسه من اسقاطات حول المجال الهدف بما يناسبها من المجال المصدر ويتفاعل معها. فيستجيب لها المتلقي فيسقط عليها ما يناسبها ثم تتكون لديه ردة فعل مشابهة لما وجده واختبره في المجال المصدر فيتأثر بها سلوكه. ومن أجل فهم الهدف من المجال المصدر، يجب تكون لديه المعرفة المناسبة بالمجال المصدر(Lakoff & Turner, 1989)، فالسلطة الشعورية تولدت عند المتلقي من خلال التجربة الحقيقية للمجال المصدر فيسلم بها ويتفاعل معها وفقا لما أحدثته في نفسه. "فمادة الصورة في الغالب من المحسوس، ولكنه ليس أي محسوس، فهي إذ تقنع أو تكون غير منطوية على طاقة إقناعية لا تكون كذلك لأنها من الحس فحسب، وإنما لأن هذا الحس نفسه منتزع من تجارب المتلقين المادية، وممارستهم العينية، ومن سلوكهم اليومي")صولة,2001 ,481).

وخلوصا من هذا التحليل أن التصوّر المحسوس أو الحرفي يمثل الأساس الذي يبنى عليه معمار الاستعارة التصورية، وهو محلّ اتفاق بين أفراد المجتمع؛ وهنا تكمن قوته الحجاجية، وأثره في المتلقي. إذ التسليم به تسليم بالتصوّر المجرد، وهنا تكمن القوة الحجاجية للاستعارة التصورية. ومتى قبلها المتلقي وتأثر بها، فإنها تدخل في سياقات التداول في المواقف التواصلية المشابهة فتصبح استعارية تواضعية؛ بحكم كثرة تداولها بين شريحة واسعة من أفراد المجتمع وتسليمهم بها. فساعدت المتلقي على فهم المجال المجرد من خلال المجال المحسوس بعدما كان متعاليا على الإدراك بحكم طبيعته المجردة؛ فيصبح تصوّره حاضرا نتيجة توليفه مع المجال المحسوس، ويساعد على التأثير في توجيه سلوك المتلقي نتيجة هذا التأثير الإدراكي والشعوري.

ونستطيع تمثيل الوظيف الحجاجية في عمل الاستعارة التصوّرية وفق نموذج تولمين:

١-الدعم= الزمن مال (الاستعارة التصوّرية). الاستعارة تمثل دعما للوصول إلى النتيجة.

٢-الضمان= نستطيع أن نحافظ على المال نستثمره فنربحه أو نضيعه فنخسره.

٣-معطى= الزمن يستثمر في الأعمال المربحة، بكم ساعة العمل في هذا القطاع، ما قيمة الوقت عندك؟

٤-الموجّه= شبه مؤكد

٥-النتيجة= أن نستثمر الوقت فهو ثمين قد نربحه وقد نخسره

٦-الاستثناء= إلا إذا كان المال بلا قيمة

تمثل الاستعارة التصوّرية الدعم الذي يعين المتلقي على الوصول إلى التناسب الموجه من المجال المصدر إلى المجال الهدف. ويتكثف توجيه القوة الحجاجية في النموذج على الضمان، حيث يقوم على تجربة حقيقية تواضع عليها أفراد المجتمع، فهو مشهور عندهم ومسلم به وهو "قانون العبور"(الزماني,2024 ,100) إلى النتيجة وضمان عدم الوقوع في الخطأ. وإذا ما عدنا إلى مجالي الاستعارة التصورية نجد أن الضمان يمثل فيها المجال المصدر (التصوّر المحسوس)، وهو الموصل إلى النتيجة المسلّم بها إلى المجال الهدف (التصوّر المجرد). يضاف لذلك أن الاستعارة التصوّرية تسهم في تكثيف الطاقة الحجاجية في الخطاب من خلال تضافر مجموعة من الاستعارات الداعمة للاستعارة أو المفهوم الذي يسعى الخطاب إلى إيصاله إلى المتلقي، وتشكيل صورته في ذهنه. وهذا التضافر يساعد على خلق الانسجام في النص؛ حيث يتشكل المفهوم من استعارة أولية، تأتي بعدها مجموعة من الاستعارات المرتبطة بها، فيعمل هذا التكرار للمعاني، والتوسيع لها على تكثيف الطاقة الحجاجية في النص.

البنية التصوّرية وقوة الإقناع:

يمثل التصور الذهني ركيزة من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الاستعارة التصوّرية، حيث يقوم على تقديم الأوصاف التي يستند عليها مجالي التصوير في العبارة الاستعارية؛ حيث "تُعَدّ البنية التصوّرية نسقا تمثيليا يهم اللغة ويتجاوزها في حد ذاتها، وعليه يقوم التفكير والتخطيط وتكوين المقاصد وفهم الجمل في سياقاتها مع ما يرتبط بذلك من اعتبارات تتعلق بالمعلومات الذريعية وبالمعرفة الموسوعية"(العبيدي,2013 ,64). وتظهر أهمية البنية التصورية باعتبارها الوسيلة التي تُمَكّن الإنسان من إنتاج المعارف المختلفة والدلالات؛ فهي مرتكز الاستنتاج والارتباط والإدراك والفعل غير اللغويين(غاليم,2007 ,33)، كما أنها تمثل مرتكزا للدلالة اللغوية؛ فهي تعين على إنتاج الاستعارة، " فالاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأن هناك استعارات في النسق التصوّري لكل منا"(لايكوف وجونسون,1980\2018،24).

ترتكز الاستعارة التصورية على أساس إبراز المعروض محط العناية (focus) ومركزه في إطار أساس. وهو ما تحيل إليه العبارة الاستعارية من الأبنية المُكوّنة لها. ونستطيع إبراز ذلك من خلال المفهوم (المُعَلِّم) نفهمه من خلال منظومة متكاملة يمثل (المُعَلِّم) أحد أفرادها، وكذلك (الأب) نفهمه من خلال الارتكاز على منظومة الأسرة ودوره فيها. هنا، نجد أنها نماذج لا تقدم دلالة المعروض إلا بالارتكاز على المجال الذي يحويها. وإن أردنا التعمق في المفاهيم وقلنا (رأس الجبل)، فإننا نستحضر صورة الجبل لا رأسه فقط حتى نتمكن من تصوّره. "فالذاكرة تؤلف بين التجارب الحسية والخيال، وتحوّلها إلى ذكريات مصوّرة تمكن الفرد من تمثيل أشياء غائبة عنه"(العبيدي,2013 ,56-55). ولا شك، فإننا نستحضر شبكة كاملة استحضارا طبيعيا، ولا نقبض على المعنى إن لم نربط المفهوم في إطار يشمله مع عناصر مختلفة. ويمثّل المعروض في مجالي التصور عنصرا بارزا ظاهرا في مركز الوعي أمّا الأساس الذي

ينتمي إليه يمثل إطارا أو خلفية تصوّرية للمعروض نفسه. فلو قلنا: الصدق زينة، فيبرز إطار التركيز على المفهوم محط العناية، فإن موضع الاهتمام نستطيع أن نضعه كما هو في الشكل الآتي:

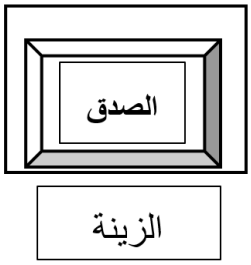

فمن خلال التعبير الاستعاري (الصدق زينة) تُمكننا الاستعارة التصورية من التركيز على إطار المجال الهدف (الصدق) من خلال إطار عام تضعه فيه؛ لنتمكن من القبض عليه، فيكون موضع التركيز والاهتمام بارزا في إطار عام يشكل خلفية له. إن "التمثيل الذهني أو التمثيل العرفاني هو الصورة التي يصنعها الفرد لحالة ما، وهي مجمع الإحساس والذاكرة، ففي حالة معينة تتطلب الأحاسيس تنشيط المعلومات الموجودة في الذاكرة"(العبيدي ,56 2013,). وقد يقرّب المتكلم درجة التخصيص في عباراته الاستعارية، فنستطيع أن نعبّر عن المفهوم الواحد بتصوّرات متنوعة تختلف باختلاف درجات التدقيق، فنقول:

- الأخلاق الحسنة زينة الإنسان. (المستوى الأعلى)
- العفّة رداء المسلم. (المستوى القاعدي)
- عطر الرجال شهامة ومروءة... أما النساء فعطرهن حياء (المستوى القاعدي)
- ومكارم الأخلاق أفضل زينة... يا قبح من عنها له استغناء. (جهاد جحا) (المستوى الأعلى)
- (الجهاد حجة)

الأمثلة السابقة تنقل لنا وضعا واحدا، ولكنها متباينة في نقله من حيث درجة الدقّة في الوصف، فتنتظم التعبيرات الاستعارية وفقا للمستويات الثلاثة للمَقُوَلة. كما تنتظم التعبيرات الاستعارية البانية للمفهوم في جوانبه المختلفة تبعًا لسُلّميّة تتدرج من العموم إلى التخصيص أو العكس، وذلك وفقا لموقع كل تصوّر استعاري بانٍ لمعالم المفهوم. فالإنسان في وصف الرحلة يصف تفاصيلها، وعناصرها، ونوعها، والهدف منها، والنتائج المترتبة عليها. فهي تُصوّر المفهوم من زوايا مختلفة؛ لتعطي صورة تركز على الهدف من توظيفها في النص، كما تكشف عن فكر صاحبها هل هو متسق أم غير متسق، وهنا تكمن قوة الاستعارة وتأثيرها في المتلقي. ولكن كيف نستطيع الإمساك بالخيط الناظم للاستعارات المختلفة البانية للمفهوم؟

الاستعارة بين الخفاء والتجلي (الواعي واللاواعي):

إن صفات التفكير التي تقوم على مخططات الصور جزء حقيقي من فهم العقل لكنها في الواقع ليست حقيقية، وإنما تابعة للخبرة التي تجسدت في العقل، فأن تردد (وأدخلنا في رحمتك)، فهذا تفكير يستمد من تجسد فهم الإنسان للرحمة على أنها (وعاء). وهذا يدل على أن التجربة الجسدية والخبرة الحياتية هي التي تمد الإنسان بالوسائل التي تعينه على التعبير. وتكمن قوة هذه الاستعارات في تداولها المنتشر بين أفراد المجتمع إلى أن تصبح استعارة تقليدية، وركيزة أساسية للتعبير لا غنى عنها، فتصبح كأنها حقيقة. وعندما تكون الاستعارة تقليدية فإنها تصبح خفية غير ملاحظة، وهنا نستطيع من خلالها أن نكتشف خفايا الأفكار التي تُجسد هذا الفكر.

إننا نستطيع أن نقيّم- وفقا لهذه البنية الاستعارية الراسخة في التداول اليومي- القيمة التي يوليها هذا الفكر للمفاهيم المجردة المختلفة نحو: (الزمن- العلم- الدين- العلاقات) وغيرها من مفاهيم الحياة الأساسية. فالهدف من هذا الاستقصاء للاستعارات التي تشكل معمار الفكر البشري أن نلفت نظر الإنسان إلى المواضع التي قد تعيق تقدم الإنسان الحضاري من خلال رؤيته الفكرية للمفاهيم؛ فإصلاح الفكر مدعاة إلى تأسيس سليم في تقييم المفاهيم المجردة، والعمل من خلالها على الرقي في مراتب الحضارة والنماء. وتكمن خطورة الاستعارة بأن يفهمها الإنسان على أنها حقيقة لا استعارة عند معالجة قضية من القضايا، وهذا ما نجده في رد الكفار عند فهمهم لقوله تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (البقرة، آية: 245)، حيث قالوا: "إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ" (آل عمران، آية: 181)، فمادية الفكر ونظرتهم إلى الاستعارة على أنها حقيقة أوقعتهم في هذا المزلق الهاوي بهم في ظلمات الجهل. فإن كان الفكر الرأسمالي يرى أن الوقت مال؛ حيث ينطلق من فكر يرى أن لا قيمة للإنسان إلا بما يقدمه من إنجاز في وقت معين، فهو يعكس الفكر المادي ويهمل الروح، بينما يرى الدين الإسلامي أن العمل بإحسان يمثل قيمة العمل من خلال العلاقات الإنسانية، فهو يركز على الطريقة الصحيحة في أداء العمل التي تؤتي نتائج قيّمة لا محالة. إن الله يحب إذا عملك أحدكم عملا أن يتقنه فالرقابة محبة لا تسلط وسيطرة فيعمل الإنسان وفق فهمه علاقة المحبة وما تحمله من نتائج إيجابية ومتعة في العمل رغبة في

القبول ممن تحب.

إن الفكر لا ينعتق من المادة تأسيسا وتفاعلا وعملا، فالكثير من القيم والمبادئ والأفكار في حياة البشر انتجت من خلال الاستعارة. فالتوجيه نحو مسميات (عقلانية) التي تحّكم العقل في كل مسائلها ما هي إلا أفكار تسللت إلى المجتمعات في حين أنها تتصادم مع الفكر الإسلامي الذي يبني مجتمعه وفق منظومة فكرية لها خصوصيتها، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" (النساء، آية: 59).

ونحن أمام هذه الرؤى الفكرية التي تفِد إلينا لابد أن ندرك عواقب تفاعلها الخفي، حيث تكمن خطورتها في أنها قد توهم المتلقي بأنها حقائق لشدة خفائها؛ فتجعله يرى الأشياء كما أريد لها، فيتبعها أو ينفر منها. فإن كانت هذه الآثار المترتبة على القوة الخفية للاستعارة فلابد أن يستثمرها المجتمع وفقا لمبادئه وقيمه وأفكاره، ويُحذّر مما قد يتسلل إليه ممن هم حوله من المجتمعات. فإن قامت حرب فكرية فلابد من حدوث دمار، وإن اهتم ببناء الفكر على أسس ثابتة فستقوم الحضارة.

وقد أجريت دراسة حول انتباه المتلقي للاستعارات المبثوثة في النصوص النثرية، فكانت النتائج كاشفة عن شدة خفائها على المتلقي التي تحيل على دخولها في نسيج الفكر حقائق لا شك فيها. وإن نظرنا إلى تأثير تداولها فإننا نشهد على تغيرات في بنية المجتمع وخلخلة لثوابت منظومته الفكرية عند دخول استعارات مباينة لما تأسس عليه المجتمع. فلابد من مواجهة استعارية، فإن كانت النداءات توظف (الدين يخلق جمودا فكريا) (ويضع قيودا على النفس)، فإننا نبني فكر المسلم على "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ" (الشرح، آية: 7)، و(الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها) فالبحث المستمر هو ديدنه، "إنا إلى الله وإنا إليه راجعون" تعكس المرونة في تجاوز الأزمات واللياقة النفسية التي يتربى عليها أبناء المجتمع الإسلامي.

الثقافة الأقوى حضاريا تمثل مرجعية:

إن من الوسائل المساعدة في القوة الاستعارية أن توظف المجتمعات المتقدمة اقتصاديا أو سياسيا ثقافتها من خلال وسائل متنوعة؛ لفرض انتشارها في المجتمعات من حولها. حيث تسعى إلى جذب الفئات المختلفة عنها والمتخلّفة عن ركب الحضارة؛ رغبة في الوصول إلى ما وصلت إليه من تقدم حضاري، فتفرض عليها سياسات تدير بها مجالاتها الاقتصادية والتعليمية وفقا لثقافتها بحكم قوتها التأثيرية ومكانتها الدولية. وهنا، تمارس هذه الثقافة سلطتها على الثقافات الأخرى، فتسرّب إليها رؤاها الفكرية حتى تتمكن من نزع الثوابت التي يتمسك بها مجتمع من المجتمعات؛ ليكون تحت سلطتها أو في خدمتها أو تزيح الحواجز التي تعيقها عن ممارسة رغباتها النفسية. فتقيّم مبادئهم استعاريا؛ لتشعرهم بضرورة التخلي عنها أو تسرب إليهم قيمها الخاصة لتدعوهم إلى التمسك بها.

الدين أفيون الشعوب/ المدرسة العقلية.

تفاعل الخطاب الديني مع الإنسان بعقله المادي فقرّب له بعض القضايا بالصور المادية، إلا أنه لم يبسطها كل البسط وإلا لما كان هناك قيمة للحركة والبحث. إضافة إلى أنه أخرج بعض القضايا من القيمة المادية البشرية إلى المعاملة مع الله وفق حكمته، ورحمته التي يريد من خلالها أن يبصر الإنسان المادي بألا يتعلق بماديته في تعامله مع الله؛ فأراد من خلالها أن يوصله إلى مرحلة التوازن بين المادة والروح.

فكان تحدي الإنسان لنفسه في الدين الإسلامي أن دعاه إلى أن يؤمن بأركان غيبية ليس في مقدورة الوصول إليها بعقله مع ما يملكه من قوى أودعها الله فيه. فإن فهم المسلم عقيدته حق الفهم وتمسك بها فإنه قادر على مواجهة الاستعارات التي توجه إلى ثوابت الدين رغبة في زعزعة ثباتها شيئا فشيئا إلى أن يتهاوى بناؤها فكانت منها المواجهة التي تصدت للتيارات الغربية المحكمة للعقل في كل قضايا الإنسان فلم تنطلِ حججها على عقيدة المسلم الواعية لمحاولات طمسها. فلم تكن المحاججة إلا بالأدلة التي تتعارض ومبادئ العقل ثم ختمها باستعارة تكشف منزلة العقل في الخطاب الديني وهي منزلة ثابتة لا تقبل المنازعة

الانسجام الاستعاري والإقناع:

يمثل انسجام الاستعارة مع الثقافة التي شكلتها، والتجربة التي تعكسها، إضافة إلى الانسجام بين الاستعارات المختلفة التي يوظفها النص أحد أبرز المباحث التي نسعى إلى التركيز عليها في هذا البحث؛ وذلك بحكم أن الاستعارة ابنة ثقافتها، ووليدة التجربة الجسدية. إضافة إلى أنها تعين على الكشف عن الرسائل التي يبثها النص للمتلقي، وأثر الاستعارة في التكثيف الدلالي للغرض الذي تصوّره. "حيث تستدعي الصورة الاستعارية بعبارة لغوية قصيرة الكثير من المعاني الدلالية"، "من خصائص الصورة، وعنوان مناقبها، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ"(الجرجاني,2001 ,87-85).

يبدأ انسجام النص باستعارة أولية تتناسل منها مجموعة من الاستعارات، تشكل كل منها لبنة من لبنات بناء المفهوم من خلال الاستعارات الأولية التي تبني الاستعارة الكبرى. هذا التكرار الاستعاري لمجموعة من الاستعارات البانية (للمفهوم) وفقا لتصوّر صاحبه تساعد على ترسيخ صورة متكاملة له في ذهن المتلقي دون أن يشعر بتنافر في الصور أو غموض في العلاقات بينها غموضا يصعب إضاءته؛ فهي استعارة قادمة من نسيجه الثقافي وتجربة اجتماعية تميل إلى أن تكون ذات قوة إقناعية إن كانت في المستوى الأعلى وفق "سُلّمِيّة الإرث"، وهو المستوى الذي يصنف الاستعارات الأوسع انتشارا فهي استعارات تلقى قبولا عندهم.

يكشف الانسجام الاستعاري عن انسجام التصوّر في ذهن صاحبه، ووضوح معالمه؛ مما يسهل على المتلقي الأخذ به، وإضافته إلى نسيج خبرته وتصوّراته. وما إن يصل صاحب النص إلى هذا الأثر في المتلقي فقد حقق غايته من إحداث تأثير فيه، وتحقيق لرسالته في مخاطبة المتلقي، وإقناعه به. ويظهر أثر هذا الإقناع من خلال تداول المفهوم وفق تصوّر صاحبه، والتفاعل السلوكي معه، والانقياد إلى ما يدعو إليه. حيث نجد أن قيمتها تتمثل في أن قيمنا الأكثر جوهرية في الثقافة ترتبط بالبنية الاستعارية لتصوّراتها الأكثر أساسية. فقيمنا ليست مستقلة وتُشكّل مع التصوّرات الاستعارية نسقا منسجما نحيا به من خلالها (لايكوف وجونسون,1980\2018).

ومن الممكن أن نكوّن فكرة عن آلية الانسجام في إطار بنية استعارية واحدة إذا انطلقنا من استعارة (المناظرة رحلة). ترتبط هذه الاستعارة بهدف المناظرة، إذ يكون للمناظرة بداية، وتتواصل على نحو خطيّ وتتطور عبر مراحل نحو الهدف وهذه بعض الأمثلة التي توضّح هذه الاستعارة نحو: (الطريق- المحطة الموالية- إلى الآن- نكمل الخطوة- هدفنا- تفتح الطريق- وصلنا إلى- مسار- تاه عن الطريق...).

إن استعارة (المناظرة رحلة) من الاستعارات المرتبطة بالمناظرة؛ فهي استعارة نستعملها لتسليط الضوء على الهدف من المناظرة في كل منها، واتجاهها، أو للتحدث عن طريقة تقدمها. بينما إذا أردنا التحدث عن مضمون المناظرة، فإننا نستعمل استعارة (المناظرة وعاء)؛ فالأوعية يمكن أن ننظر إليها باعتبارها فضاء له حدود، وله بُعد يتموقع فيه مركزه، والوعاء حاوية لمادة تتنوع من حيث مقدارها. وبما أن الغرض من الاستعارتين مختلفان، فكل استعارة تستعمل للتركيز على مظهر من مظاهر المناظرة التقدم في مقابل المحتوى. وبهذا نحصل على استعارات مختلطة تبرز كل منها مظهرا من مظاهر (المناظرة).

يكمن أثر الانسجام الاستعاري يكشف لنا جوانب متعددة، أما الجانب الأول في النص من خلال إحكام نسج استعاراته، فالاستعارة الكبرى أو الاستعارة الأولية ترتبط بخيط خفي مع مجموعة من الاستعارات المنتشرة في النص، ثانيا يكشف الانسجام بين الاستعارات عن مقصدية الهدف الذي من خلاله وظف صاحب النص هذه الاستعارات، ووضوح الرؤية في ذهنه دون ضبابية أو تنافر مما يرز خبرة مدروسة في توجيهه للمتلقي، ثالثا يتمثل أثر الانسجام الاستعاري في المتلقي الذي يتبنى هذه التصوّرات، ويضيفها إلى نسق تصوره، ويعمل بها فيظهر أثرها في سلوكه عملا وفي نصوصه توجّها. ويمكن أن نسمي الانسجام الاستعاري اليد الخفية للإقناع في النص وفق استراتيجية التكرار الماتع لاستعارات تدور حول المفهوم، وتبني معانيه من جوانب مختلفة. فنحن لا نقصد بالتكرار تكرار الاستعارات، وإنما نقصد به تكرار التطرق إلى (المفهوم) الذي يتردد مع كل استعارة تبني جانبا من جوانبه المختلفة، وزاوية من زواياه المهمة.

الاستعارات وتكثيف القوة الاقناعية:

من خلال التصنيف الأولي الذي وضعه (لايكوف وجونسون) نستطيع أن نجد بغيتنا في الاستعارة البنيوية التي تنضوي تحتها مجموعة من الاستعارات الاتجاهية والانطولوجية، كما نستطيع أن نكثف القوة الإقناعة في النص من خلال مخططات الصورة، حيث نجد في هذين النوعين من الاستعارات إضاءات للمفهوم من زواياه المختلفة وفقا للخبرة التجريبية المتشكلة حوله. "فحين يكون تصوّر ما مُبَنْيَنا بواسطة أكثر من استعارة واحدة فإن البنيات الاستعارية المختلفة تتوافق، وفي الغالب، على نحو منسجم"(لايكوف وجونسون,1980\2018، 116).

منذ انطلاق العمل حول الاستعارة التصوّرية عند (لايكوف وجونسون) كان جلّ تركيزها على الدلالة ولمّا يتطرق أصحاب النظرية إلى الأثر التداولي في الاستعارة التصورية إلى أن جاء (كوفيتش) فأسهم في كتابه (where metaphors come from reconsidering context in metaphor) فأثر في الثقافة عندما سلط الضوء على تموضع الاستعارة في السياق، فتتبع العوامل السياقية المؤثرة في فهم الاستعارة وحددها في أربعة عوامل (سياق الخطاب- السياق الظرفي- السياق الجسدي- السياق التصوّري) ضمنها في سياقين هما السياق المحلي والسياق العالمي العام. يمثل السياق المحلي سياقا مباشرا ناشئا من عملية التواصل الآنية بين المتكلم والمتلقي والمعرفة المحددة التي يمتلكها المتخاطبان، بينما يمثل السياق العالمي معارفهم العامة والمشتركة التي تميّز مجتمعهما، ولكنه ينبه أنه لا يوجد فصل حاد بين السياقين، فالتمييز إنما هو تمييز نظري لا ينطبق بالضرورة على الواقع في صنع الصور المجازية(Kovecses, 2015).

وهنا ندرك قيمة تداول الاستعارة حيث يمثل عاملا مهما من العوامل التي تساعد على انتشارها، ولكن قد تقف مجموعة من العوائق حائلا دون ذلك منها:

-اختلاف بين المتلقين في فهم الاستعارات، وذلك ناتج عن اختلاف الخبرات بينهم؛ لذا فإن قبول الاستعارة يمثل مسألة نسبية ومردّ ذلك التباين الثقافي والتفاوت في الخبرات. وقد يترتب على ذلك انغلاق النص دون فهم المتلقي وانقطاع التواصل بينهما.

إن الاختلاف في فهم الاستعارة من المحتمل أن يحدث داخل الثقافة الواحدة أو عبر الثقافات المختلفة. وقد جمعها (كوفيتش) في عاملين هما تفاضل في الخبرة، وتفاضل في الأساليب المعرفية.

إن الوعي بالسياق يشتمل الوعي بالسياق المادي والسياق الاجتماعي والسياق الثقافي، إضافة إلى الوعي بسياق التواصل(Kovecses, 2015). وكما أن تضافر كل تلك السياقات والعوامل يساعد على إكساب الاستعارة طاقة حجاجية من خلال ضمان التواصل بين المتكلم والمتلقي دون أن يحدث

انقطاع في التواصل لأي سبب كان؛ فنجد أن المتلقي يتأثر بالاستعارة، ويسلم بالفكرة التي تحملها. فحصول "المفاهيم من الكلام الوارد في الاستعارة أوكد وأثبت وأوضح، خصوصا إذا كانت مادة تلك الصورة مأخوذة من عالم خطاب المتلقين، ومألوفة عندهم ومرتبطة بدلالة معينة"(صولة,2001, 557-558).

وقد تطرقنا سابقا إلى البنية التصوّرية التي تتكون منها الاستعارة، ووجدنا أن التوليف بين المجال المصدر والمجال الهدف هو من عمل المتكلم، بينما ما يحدث من إسقاطات بين المجالين إنما هو من عمل المتلقي. وقد جاءت الصور الحسية في الخطاب الديني بتوجه إقناعي. لذا، نجده يعتمد عليها اعتمادا كبيرا لتحقيق البعد الإقناعي التأثيري في جمهور المتلقين؛ نظرا إلى اتساع قاعدة المتلقين لهذا الخطاب ما يؤدي إلى تقليص الاختلاف في الفهم وتعدديته، فكانت الصور الحسية المتداولة أقرب ما يكون إلى إقناعهم. إن ما ينشده المتكلم من الاستعارة التصورية عندما ألف بين "شيء هو إجمالا محلّ "خلاف" على شيء هو إجمالا محلّ اتفاق"(صولة,2001, 556). أن يساعد في تقليص دائرة الاختلاف بين الترسيمات التي يقصدها، وبين الترسيمات التي قد يتوصل إليها المتلقي؛ فهو يبني شيئا مجردا غير مدرك على شيء محسوس مدرك.

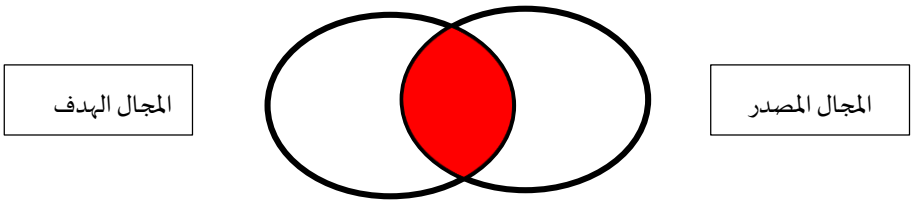

مخطط التوليف بين مجالين

تمثل المنطقة التي يتقاطع فيها المجال المصدر مع المجال الهدف منطقة ضمنية غير مصرح بها، وإنما هي ترسيمات يقوم المتلقي بملء فراغها، وذلك اعتمادا على معطيات السياق والخبرات والمعارف التي كوّنها في حياته، وتفاعله مع البيئة التي ينتمي إليها. وما إن يبدأ المتلقي في استنتاج الترسيمات التي تجمع بين المجال المصدر والمجال الهدف، فإن النتيجة التي يتوصل إليها تصبح ضمن المعرفة التي تضاف إلى معارفه. إضافة إلى أن المجهود الذي قام به من أجل الوصول إلى النتيجة يمثل مجهودا ذاتيا يدفعه إلى الاقتناع بها، والتسليم بما جاءت به؛ فهي "نتيجة تأويله" لذلك يكون دحضها "أشد عسرا" من طرفه (الزمان,2024)، وهنا تكمن الحوارية الفاعلة بين المتكلم والمتلقي(صولة,2001). "أهم دور تضطلع به الصورة، بل تنفرد به أنها تفعّل دور المتلقي من خلال إدماجه في العملية التواصلية طرفا في صنع المعنى"(علوة,2014, 40).

ولكن، هل تمثّل الترسيمات التي توصل إليها المتلقي نتيجة حتمية لكل ما أراد المتكلم إيصاله إلى المتلقي؟ إن اختلاف التجربة، إضافة إلى اختلاف المستوى المعرفي بين أفراد المجتمع قد يجعل الترسيمات نسبية بين كل متلقٍ وآخر، حيث أكد (لايكوف) أن الترسيمات "تقع في نطاق التفسيرات المعقولة أكثر منها في نطاق النتائج العلمية"(لايكوف,1993\2014, 71). ويزداد التباين وتتسع هذه الفجوة في الوصول إلى الترسيمات كلما اختلفت الثقافة والزمان والحضارة. إضافة إلى أن القوة الإقناعية للاستعارة تتفاوت بتفاوت ما توصّل إليه المتلقي من ترسيمات وما أدركه منها. "فالإدراك (cognition) يرتبط ارتباطا وثيقا بالمستوى الثقافي على مستوى الأفراد، أو على مستوى الفئات المختلفة داخل الجماعة الواحدة، أو على مستوى كل مجتمع على حدة، ما يعني(عدوي,2020) "اختصاص كل أمة وكل نسق ثقافي بممارسة فكرية أو ثقافية لها خصوصيتها"(محسب,1997, 4).

إن التبيان يعتمد أيضا على نوع الاستعارة (تواضعية- إبداعية جديدة)، فإن كانت الاستعارة التواضعية أعمق رسوخا بين المتلقين، والأكثر تداولا فهناك شبه اتفاق على الترسيمات بين مجالها، أما الاستعارة الإبداعية الجديدة فإن مجال تداولها يتسم بالمحدودية، فهي تبقى فترة من الزمن ضمن فئة المثقفين المهتمين بمجال ترددها ضمن فن من الفنون؛ لذا نجد أن قوتها الإقناعية تزداد كلما زاد تداولها وترددها بين المتلقين. وهذا ما أشار إليه لايكوف في "سُلّميّة الإرث" حيث تتعدد الاسقاطات الاستعارية وتتجدد على أساس توسع بعضها من بعض حيث تتشكل بمقتضاها الاسقاطات الدنيا وفقا لأبنية الاسقاطات العليا، وهذه السُلّميّة لها ثلاث مستويات يأتي في أعلاها الاستعارات ذات الانتشار الواسع من حيث العصور والميادين والثقافات، بينما تأتي في المستوى الثاني استعارات بين بين، ويرد في أدناها الاستعارات الأقل انتشارا. ومثال ذلك "استعارة البنية الحدثية قد تكون كونية لكن استعارة الحياة رحلة، أو الحب رحلة، أو المهنة رحلة فمحدودة بالثقافة"(الزناد,2010, 149).

إن الرسالة التي يُحَمّلها المتكلم الاستعارة تُمَثّل خبرته الذاتية في الحياة، وتعكس رؤيته لها، وفهمه للمحيط من حوله، إضافة إلى أنها تعكس ثقافته وأسلوب تفكيره التي يسعى من أجل أن يكسبها للمتلقي. وقد لخص لنا (لايكوف) الأهداف التي ينشدها المتكلم من الاستعارة التصوّرية حيث قال: " علينا أن نتعلم متى تكون الاستعارة مفيدة للفكر، ومتى تكون حاسمة للفكر، ومتى تكون خادعة ومضللة. والاستعارة التصوّرية قد تكون كل هذه الثلاثة"(لايكوف وجونسون,1999\2016, 122). وهذا يكشف لنا عن القوة الحجاجية للاستعارة التصوّرية فهي غير مباشرة، وإنما تأتي أحيانا ضمن تعبيرات لغوية مختلفة تعبر عن حقل المجال المصدر، فلا يأتي المجال المصدر صريحا مباشرا. وهذه التعبيرات تُحَفّز في ذهن المتلقي الحقل الخاص بهذا

المجال؛ فيستدعي من الذاكرة الخبرة المعرفية السابقة، ويتأثر بها. هذا التأثير "ضاعف قواها في تحريك النفوس لها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"(الجرجاني,2001 ,92-93). ومنها ندرك الأثر الإقناعي للصورة في تأثيرها على العاطفة إلا أن اللسانيات المعرفية تجاوزت التأثير العاطفي، وذهبت في دراسة الاستعارة من خلال تأثيرها على السلوك. وإن كان التأثير العاطفي- كما قال محمد الولي هو "أساس في الحجاج"، وهو بداية التأثير الإقناعي، فإن تغيير فكر المتلقي هو الغاية التي تنشدها الاستعارة التصوّرية.

وظائف الاستعارة:

تعمل الاستعارة "باعتبارها وسيلة معرفية قادرة على بناء صرح المعرفة الإنسانية بطريقة تحقق الجانب المعرفي والجمالي معا"(عدوي,2020 ,279)، فقد أصبحت أداة مهمة من الأدوات التي تقربنا من الواقع من خلال وظائفها المختلفة منها: تأكيد معلومة سابقة تساعد على فهم تصوّر حرفي. فاستعارة (المؤمنون إخوة) تعمل هذه الاستعارة على تأكيد معلومة سابقة في ذهن المتلقي، فيسحب ذهنيا المعطيات اللغوية نحو العائلة من حماية وعطف ومساعدة وتكاتف، وما يشعر به من مشاعر مختلفة اتجاه العائلة إلى (الآخر) الذي لا تربطه به رابطة الدم.

يضاف لذلك أن استعارة (المؤمنون إخوة) قد تعمل على تعديل معلومات يطرحها فكر ثقافة (الآخر) مثل (الحياة تنافس) (أنا أولا والجميع بعدي) أو (نفسي نفسي). وهي معطيات جاءت من فكر مخالف للفكر الذي ننتمي إليه؛ فلابد من إعادة الاستعارة التصورية (المؤمنون إخوة)، وجعلها ترسخ في ذهن المتلقي ليحافظ على ثبات مبادئه من الانحراف مع كل تيار مخالف، وينقي فكره من هذا التوجه الذي بدأ يطفو على سطح خطاباتهم.

وقد تكون الاستعارة حاسمة في توجيه المتلقي في المسائل الخلافية حول مفهوم (العقل) من خلال الاستعارة التصورية (العقل حاكم ثان). فلا يبقى خلاف حوله في السلطة التي تخوّل له في قضايا الحياة المختلفة من خلال إعطائه السلطة المطلقة في الحكم علي مجريات الحياة وقضايا المجتمع. فيحسم الجدال القائم حول قوة العقل المطلقة، ويدرك أن العقل تابع لقوة أعظم منه. فنجد أن الاستعارة أزالت رؤية سابقة واستبدلتها برؤية جديدة للعقل. وقد تكون مضللة إن كان المتحكم فيها أهواء وعواطف خاصة، يحقق من خلالها غاياته من بثها في المجتمع منها: (المهاجرون طوفان) (المهاجرون سرطان)؛ فيفهم المتلقي أنه في خطر وحياته مهددة من قبل هؤلاء، ولابد من التصدي لهم وإبعادهم. فاستعارة (المهاجرون طوفان) تقدم للمتلقي معلومات تجعله يرى البنية الاستنتاجية في القوة التدميرية للطوفان، فيفهم المهاجرون بوصفهم قوة ترغب في تدمير حياته، وانتزاع حقوقه في الحياة؛ فلابد من التصدي لهم والتخلص منهم.

هنا، ندرك أن للاستعارة قوتها الحجاجية الممتدة عبر الأجيال، حيث تعمل على إحداث تغيير في الثقافة- عند أفراد المجموعة- والنسق التصوّري، وهذا يكشف عن حيوية الاستعارة التصورية، وقابليتها للتغيير والتعديل في ثقافة المجتمع نتيجة ما تحمله من قوة إقناعية تسهم في استمرارها. حيث نجد تأثيرها في تغيير نمط الحياة وثقافة المجتمع وسلوكه حول القضية التي تعبر عنها الاستعارة التصوّرية. وما التطور والإزدهار الحضاري إلا محفز إضافي مهم في إبداع استعارات جديدة تتوافق ومتطلبات الحضارة، وتتواكب معها، فكلما "دخلت استعارة جديدة في النسق التصوري الذي نؤسس عليه تصرفاتنا فإنها تُغَيّر هذا النسق التصوّري كما تُغَيّر الإدراكات والتصرفات التي ينشئها هذا النسق. وينشأ جزء كبير من التحوّل الثقافي من إدماج تصوّرات استعارية جديدة وفقدان أخرى قديمة"(لايكوف وجونسون,1980\2018 ,150).

إن القوة الحجاجية للاستعارة التصوّرية تتكشف مظاهرها من خلال الصدى الذي تحدثه بين أفراد المجتمع وتأثر سلوكهم بها، وتدعم قوة هذا التأثر عندما تكون الاستعارة ممن يملك السلطة والقوة في المجتمع سواء كانت في مجال السياسية، أو العلمية، أو الاقتصادية، أو غيرها. فيسعى صاحب هذه السلطة إلى بث نظرته للحياة والبيئة المحيطة به من خلال تصوّراته حولها فينقلها إلى المتلقي؛ راجيا من خلالها التأثير فيه وحمله على الاقتناع بها والانقياد لما تدعوه إليه تصريحا تارة، وتلميحا تارة أخرى فإن تأثر بها المتلقي فإن أفكار صاحب السلطة ترسخ في ذهن المتلقي. إذن هي عملية مستمرة بين المتكلم والمتلقي فلا يزال المتكلم يقدم من خلال الاستعارة طرائق تفكيره، وتصوراته لذاته والكون من حوله وهو يقدمها للمتلقي؛ رغبة في تمكينها من ذهنه فيتأثر بها ويقتنع بها أو يحمل على الاقتناع بها، وهنا يكمن الحراك الحجاجي في الاستعارة التصورية.

إن توظيف الاستعارة التصورية في الخطاب الديني قوي الصلة بوظيفتها الحجاجية التي تستند عليها دون غيرها من الوظائف، فهي تساهم- نظرا إلى طبيعتها التصورية- مساهمة بارزة في مساعدة المخاطبين على فهم الظواهر المحيطة بهم، والقضايا التي تستجد في عصرهم، كما تساعد الاستعارة التصورية في إعادة بناء تصوراتهم مع ما ينسجم والبناء الحجاجي المقدم، الذي يتناسب مع مرامي الخطاب. إن للاستعارة دورا فاعلا في التأثير على السلوكات، وتغيير الاعتقادات، مثلما وجدنا في التعبير الاستعاري "المهاجرون طوفان" والتعبير الاستعاري "المهاجرون والأنصار".

خلوصا مما سبق، نرى أن المعنى واحد، ولكن اختلاف التعبير الاستعاري أدى إلى اختلاف توجيه المخاطبين نحو القضية المثارة في التعبيرين السابقين فاختلفت الحلول المقترحة والسلوكات المتوقعة من المخاطبين. عندها، ندرك أن الاستعارة تلعب دورا مهما في التحكم في استجابات المتلقين، وتؤثر في مواقفهم، وتدفعهم نحو سلوك معين وفقا لما تبينه الاستعارة وتوجه إليه. يعد الحجاجيون التصوير "تحفيزا على الفعل، أو هو دعوة لتعديل الفكر على أقل تقدير لهذا كان المشاهد أقوى في توجيه السلوك من الغائب... ما هو حاضر وماثل أمام أعيننا جدير بأن يثير عنايتنا واهتمامنا ويجعل تصرّفاتنا تتأثر بهذا الحضور الفعال"(الولي,2020 ,199). ويمكن النظر إلى الاستعارة التصورية على أنها الموقف المبدئي الذي نتخذه لإيضاح مسألة من المسائل

بحجة مقنعة. وثمة مساحات من التأويل نسعى من خلالها إلى الكشف عن المضمون الدلالي للاستعارة في أي مجال من مجالات المعرفة.

الخاتمة:

نَخلُص من هذه الدراسة إلى أن للاستعارة التصورية طاقة حجاجية تكشف عن علاقة بين البنية المعرفية التصورية واستراتيجية خطابية تعبيرية يتخذها الإنسان للتعبير عن آرائه ومعتقداته والقيم التي يتمسك بها ويدافع عنها.

ومن خلال هذه الدراسة وجدنا أن الاستعارة التصورية ترفد طاقتها الحجاجية من مصادر مختلفة نستطيع تقسيمها إلى عوامل داخلية، وأخرى خارجية.

1 -تتمثل العوامل الخارجية في:

-العوامل المؤثرة فيما يتصل بالمجال المصدر (المجال الحرفي) وموضعه من بناء الاستعارة وتركيبها، حيث تتمثل العوامل الخارجية في التجربة الفيزيائية والبيئة الثقافية والاجتماعية التي شكلت المجال المصدر للاستعارة من خلال الاستعانة به لبنينة المجال الهدف. مما يساهم في تحليل الاستعارة كدعامة شاهدة على تفاعل اجتماعي لدعم الحجج وتقديم ضمانات لها.

-مصدر يتصل بالمتلقي: فالحجاج الاستعاري يكون فيه حضور المتلقي حضورا فاعلا، فليست التوليفات الاستعارية بين المجالين مسلمات ذاتية خاصة بالمتكلم وحده، وإنما هي ترفد مادتها من ثقافة مشتركة. كما يمكننا تحليل الاستعارة التصورية من تمييز أنواع المتكلمين أو المجتمعات وفقا لاتجاهاتهم في استعمال الاستعارة التصورية.

2-العوامل الداخلية:

-مصدر يتصل بالانسجام الاستعاري، وهو أحد المقومات التي تتشكل منها قوة النص وتماسك نسيجه. فالانسجام بين الاستعارات في النص يمثل أحد العوامل الداخلية المساهمة في تكثيف الطاقة الحجاجية إضافة إلى السياق المؤثر في اختيار استعارة دون غيرها؛ مما يسهم في التقييم النقدي للنص من خلال العدة الاستعارية التي يوظفها فيه.

-الوظائف التي من أجلها توظف الاستعارة التصورية: فالتحول في دراسة الاستعارة التصورية من نسقها المعرفي إلى أثرها الحجاجي يساهم في رؤية للاستعارة التصورية من زاوية إقناعية؛ مما يُمكن من تحقيق غايات مختلفة للتواصل الاستعاري، وذلك من خلال استثمار عالم المخاطبين وما فيه من مجالات ثقافية واجتماعية وسياسية وخبرة فيزيائية تسهل عليهم استثمار الاستعارة في بناء الحجة انطلاقا من استعاراتهم المتداولة. إن طبيعة وظيفة الاستعارة المساهمة في إيصال القيم وتبليغ أطروحات هي طبيعة مُحاجّة وبناء، وهدم وتغيير وتجديد؛ مما يسهم في إعادة صياغة التعابير الاستعارية لإحداث التغييرات التي نرمي إليها في بناء الثقافة، فالعمل على التحليل الحجاجي للاستعارة التصورية عمل ينشد تقييم جوانب التأثير في المتلقي.

المصادروالمراجع

أحمد، ع. (2010). *لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة*. منشورات الاختلاف، الجزائر.

أسيكار، إ. (2023). *الاستعارة- دراسة في قضايا البناء وآليات التأويل*. الأردن: دار كنوز المعرفة.

بن علوة، خ. (2014). *تلقى الصورة البلاغة بين الأثر الأسلوبي والدور التواصلي وقفات تحليلية على نماذج من رواية (الأسود يليق بك) لأحلام مستغانمي. مجلة البلاغة والنقد الأدبي*، 1، 29(42). https://archive.alsharekh.org/Articles/206/16841/379009

الجرجاني، ع. (2001). *أسرار البلاغة في علم البيان*. بيروت: دار الكتب العلمية.

دلخوش، ج. (2014). *علم الدلالة الإدراكي*. جامعة بغداد كلية الآداب مجلة الآداب، 110(2)، 51-70. https://search.emarefa.net/detail/BIM-527353

الزماني، ك. (2024). *حجاجية استعارة الحرب في خطاب الوباء*. الأردن: دار كنوز المعرفة.

الزناد، ا. (2010). *نظريات لسانية عرفنية*. تونس: دار محمد علي للنشر.

سيد عدوي، ج. (2020). *الأبعاد الحجاجية والإدراكية في المساجلات الشعرية*. طنطا: دار النابغة للنشر والتوزيع.

صولة، ع. (2001). *الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية*. منونة: منشورات كلية الآداب.

العبيدي، م. (2013). *التمثيل الدلالي للجملة منوال جاكندوف ١٩٨٣* . المغرب: منشورات علامات.

غاليم، م. (2007). *النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة*. المغرب: دار توبقال.

فاندولواز، ك. (2012). *استقلال اللغة والعرفان*. ترجمة: ثامر العزي، مقال ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، إشراف: عز الدين المجدوب، المجمع التونسي للعلوم والفنون والآداب، قرطاجنة، الطبعة الأولى، ج1.

لايكوف، ج.، و جونسون، م. (2016). *الفلسفة في الجسد- الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي*. دار الكتاب الجديد المتحدة.

لايكوف، ج.، و جونسون، م. (2018). *الاستعارات التي نحيا بها*. دار توبقال.
لايكوف، ج. (2014). *النظرية المعاصرة للاستعارة*. مكتبة الإسكندرية.
محسب، م. (1997). *اللغة والفكر والعالم- دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقيق*. القاهرة: لونجمان للنشر.
موشلر، ج.، و ريبول، آ. (2012). *القاموس الموسوعي للتداولية*. تونس: المركز الوطني للترجمة، تونس.
الولي، م. (2015). *الاستعارة ومجال تداولها- بلاغة الخطاب الديني*. الجزائر: منشورات ضفاف، دار الأمان.
الولي، م. (2020). *الخطابة والحجاج بين أفلاطون وأرسطو وبيرلمان*. فالية للطباعة والنشر والتوزيع.

References

Ahmed, Abd. (2010). *Discourse Linguistics and Cultural Systems Philosophy of Meaning between the Discourse System and the Conditions of Culture*. Algeria: Ikhtilaf Publications.

Asikar, I. (2023). *Metaphor - A Study of the Issues of Construction and Interpretation Mechanisms*. Jordan: Dar Kunuz Al-Ma'rifah.

Ben Alwa, Kh. (2014). The Rhetorical Image between the Stylistic Effect and the Communicative Role Analytical Pauses on Models from the Novel (Black Suits You) by Ahlam Mosteghanemi. *Journal of Rhetoric and Literary Criticism*, 1, 29-42. https://archive.alsharekh.org/Articles/206/16841/379009

Al-Jurjani, Abd. (2001). Secrets of Rhetoric in the Science of Rhetoric. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Dalkhoush, J. (2014). Cognitive Semantics. *University of Baghdad College of Arts Journal of Arts*, 110(2), 51-70. https://search.emarefa.net/detail/BIM-527353

Al-Zamani, K. (2024). *The argumentativeness of the war metaphor in the discourse of the epidemic*. Jordan: Dar Kunuz Al-Ma'rifa.

Al-Zanad, A. (2010). *Cognitive linguistic theories*. Tunisia: Dar Muhammad Ali for Publishing.

Sayed Adwi, J. (2020). *Argumentative and cognitive dimensions in poetic debates*. Tanta: Dar Al-Nabigha for Publishing and Distribution.

Soula, Abd. (2001). *Argumentation in the Qur'an through its most important stylistic characteristics*. Manouna: Publications of the Faculty of Arts.

Al-Ubaidi, M. (2013). *Semantic representation of the sentence according to Jackendoff 1983*. Morocco: Signs Publications.

Ghalim, M. (2007). *Linguistic theory and comparative Arabic semantics*. Morocco: Dar Toubkal.

Vandolois, C. (2012). The Independence of Language and Gnosticism. An article in the book: Views on Linguistic and Semantic Theories in the Second Half of the Twentieth Century, Supervised by: Ezzedine Al-Majdoub, Tunisian Academy of Sciences, Arts and Letters, Cartagena, First Edition, Vol. 1.

Lakoff, G., & Johnson, M. (2016). *Philosophy in the Flesh - The Embodied Mind and Its Challenge to Western Thought*. Dar Al-Kitab Al-Jadeed United.

Lakoff, G., & Johnson, M. (2018). *The Metaphors We Live By*. Dar Toubkal.

Lakoff, G. (2014). *Contemporary Theory of Metaphor*. Bibliotheca Alexandrina.

Mahsab, M. (1997). *Language, Thought and the World - A Study in Linguistic Relativity between Hypothesis and Investigation*. Cairo: Longman Publishing.

Muschler, J., & Reboul, A. (2012). *The Encyclopedic Dictionary of Pragmatics*. Tunisia: National Center for Translation.

Al-Wali, M. (2015). *Metaphor and its Field of Use - The Rhetoric of Religious Discourse*. Algeria: Dhifaf Publications, Dar Al-Aman.

Al-Wali, M. (2020). *Rhetoric and Argumentation between Plato, Aristotle and Perelman*. Valia for Printing, Publishing and Distribution.